الفرق بين الخلق والإستنساخ

في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

دكتوره

ثناء علي مخيمر الشيخ

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق

خطة البحث تتكون كالآتي:-

المقدمة

الفصل الأول:- تعريف الخلق واصطلاح.

- تعريف الإستنساخ لغة واصطلاح.

- الإستنساخ عند أهل العلم.

الفصل الثاني:- دعوة القرآن إلي العلم.

- حدود التفكير العلمي في القرآن.

الفصل الثالث:- حكمة الله في التعدد والاختلاف في خلق الإنسان.

الفصل الرابع:- خلق الإنسان.

- بداية خلق الإنسان.

- مراحل الخلق والتطور في الأرحام، وموقف العلم منها.

الفصل الخامس:- الإستنساخ.

- الإستنساخ ليس ضد إرادة الله ومشيئته.

- مزايا الإستنساخ وعيوبه.

- آراء العلماء في الإستنساخ.

- حكم الإستنساخ في ضوء القواعد الشرعية.

الخاتمة

فهرس المراجع.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله .. وبعد.

وبالرغم من ذلك كان الإنسان ومازال أكثر شئ جدلا... ومنذ وجد الإنسان علي ظهر الأرض وهو موضع تأمل ومجال للبحث في كل زمان ومكان، ففي شهر يوليه من عام ١٩٩٧ طيرت وكالات الأنباء العالمية نبأ عن إستنساخ حيوانات ثديية« النعجة دوللي» وما أثير حول هذا الموضوع من إمكانية إستنساخ وثار جدل كبير حول هذا الأمر لإعتقاد البعض أن تلك العملية وراءها تهديد أو مزاحمة للقدرة الإلهيةوأن هناك نوعاً من الخلق في عملية الإستنساخ إذا إمتدت إلي البشر سيحدث مخاطر كبيرة وتهديد للبشرية وإختلاط الأنساب إلي غير ذلك من الأضرار التي تحدث للإنسان.

من أجل ذلك فضلت أن أكتب هذا البحث موضحة أن الخلق لله سبحانه وتعالي وليس لأحد لو إجتمع كل من علي ظهر الأرض جميعاً. بدليل قوله عز وجل" يا أيها الناس ضرب مثل فأستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب"(١).

وأن الإستنساخ لن يكون مزاحمة للقدرة الإلهية فقدرة الله فوق كل شئ هذا يوضح لنا القرآن الكريم في كثير من آياته في خلق الإنسان لأنه أوثق المصادر، لأنه يقوم بالحقيقة الكاملة عن خلق الإنسان وأنه الكتاب السماوي الذي تكفل الله بحفظه بدليل قوله تعالي" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

ومن صفاته الرائعة لا يقف إعجازه عند عصر معين ، ولا ينتهي إلي حد معلوم.

قال تعالي:" وإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجر كبيرا. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما"(٢)

(١)سورة الإسراء آية/ ٩، ١٠.
(٢) سورة الحج آية/ ٧١.

تعريف الخلق لغة:-

أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشئ من غير أصل ولا إحتذاء.

قال تعالي:" خلق السموات والأرض"(١).

أي أبدعها بدلالة قوله تعالي:" بديع السموات والأرض"(٢).

ويستعمل في إيجاد الشئ من الشئ قال تعالي" خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها"(٣).

وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالي. لهذا قال في الفصل بينه تعالي وبين الآخرين" أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون"(٤).

كما قال تعالي:" أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار"(٥).

وقوله تعالي:" ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا"(٦).

معناه يغيرون حكمه(٧).

ويشير معني الآية إلي ما يقوم به البشر الآن من تشويه لخلق الله بما إستحدثوه من عمليات التجميل وغيرها وتدخل فيما لا يقدرون عليه.

- والخلق ورد في القرآن الكريم علي ثمانية أوجه نقتصر منها علي وجه واحد وهو بمعني حقيقة الخلقه ، قال تعالي" خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل علي النهار ويكور النهار علي الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمي ألا هو

(١) سورة النحل آية/ ٣.
(٢) سورة البقرة آية/ ١١٧.
(٣) سورة الزمر آية/ ٦.
(٤) سورة النحل آية/ ١٧.
(٥) سورة الرعد آية/ ١٦.
(٦) سورة النساء آية/ ١١٩.
(٧) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني صـــ١٥٨، ١٥٩.

العزيزالغفار"(١).

- **تعريف الخلق في الإصطلاح:** هو الإبداع وهو إيجاد الشئ بصورة مخترعة علي غير مثال سبق وهو لا يقتضي سبق المادة.

ومعناه: التقدير وهو يقتضي شيئا موجوداً يقع فيه التقدير.(٢)

وهذا المعني هو ما عناه أبو السعود فيما يقرره من أن الخلق مختص بالإنشاء التكويني وفيه معني التقدير والتسويه.

-ومما يوضح لنا هذا الفرق في الإستعمال القرآني أنه سبحانه وتعالي قال: " **بديع السموات والأرض** " وقال تعالي" **خلق الإنسان**" **ولم يقل بديع الإنسان**(٣).

وليس الخلق بمعني الإبداع إلا لله تعالي ولهذا قال في الفصل بينه تعالي وبين غيره" أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون" وأما الذي يكون بالإستحالة " **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني**"(٤).

قال بعض المفسرين: الخلق هو الإنشاء والإختراع. وهو إيجاد الشئ من الشئ قبله كخلق الإنسان من التراب ويقيضي تركيباً(٥).

وآدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله بعد أن خلق ما في السموات والأرض وهيأ له العيش فيها، والإنسان الأول من آدم عليه السلام إبتدأ الله خلقه من تراب من غير أب كما قال تعالي:" **إن مثل عيسي كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**"(٦)

« **إن مثل عيسي** » المثل:- الشأن الغريب والحال المدهشة.

---

(١) سورة الزمر آية / ٥.
(٢) تفسير المنار جـ١ صـ٤٣٨.
(٣) التعريفات للجرجاني صـ٨.
(٤) سورة المائدة آية/ ١١٠.
(٥) تفسير القرطبي جـ١ صـ١٨٥، تفسير الكشاف جـ١ صـ٤٥.
(٦) سورة آل عمران آية/ ٥٩.

« **عند الله كمثل آدم** » أي كشأنه في خلقه من غير أب،وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أوقع في النفس وأقطع لقول الخصم.

- ومما تقدم أن الخلق هو إبداع الشئ من غير أصل ولا إحتذاء علي غير مثال سابق. كما خلق الله سبحانه وتعالي سيدنا آدم، فلم يكن مثال هذا المخلوق ولا شبيهه. فخلق سيدنا أدم بعد خلق الله السموات والأرض . وبذلك معني الخلق في اللغة والإصطلاح متفقان علي أن سيدنا آدم خلقه الله بعد أن خلق السموات والأرض وهيأ له العيش فيها والإنسان الأول كان إبتداء خلقه من تراب من غير أب ولا أم.

٢- **معني الإستنساخ في اللغة:-**

جاد في كتب اللغة النسخ:- إزالة شئ بشئ يتعقبه كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب.

فتارة يفهم منه الإزالة كما سبق وتارة يفهم منه الإثبات وتارة يفهم منه الأمران.

نسخ الكتاب:-إزالة حكم بحكم يتعقبه قال تعالي:"**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**»(١).

ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلي كتاب آخر وذلك لا يقتضي إزالة الصورة. بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخري كإتخاذ نقش الخاتم في شموع كثيرة.

ومعني الإستنساخ:- هو التقدم بنسخ الشئ والترشح للنسخ وقد يعبر بالنسخ عن الإستنساخ قال تعالي:" **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**"(٢).

والمناسخة في الميراث هو أن يموت ورثة بعد ورثة والميراث قائم لم يقسم وتناسخ الأزمنة والقرون مضي قوم بعد قوم يخلفهم.

ويوجد في بعض المذاهب الشاذة:- قوم ينكرون البعث علي ما أثبتته الشريعة ويزعمون أن الأرواح تنتقل إلي الأجسام علي التأبيد(٣).

---

(١) سورة البقرة آية / ١٠٦.
(٢) سورة الجاثية آية/ ٢٩.
(٣) مفردات الراغب صـ٥١١.

معني الإستنساخ في الإصطلاح:-

وقد جاء معناه في قوله تعالي:" **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**" أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

قال علي رضي الله عنه إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشئ فيكتبون فيه أعمال بني آدم.

وقال ابن عباس إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من أم الكتاب.

في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم العباد فيعارضون الحفظة علي العباد كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقاً لما في أيديهم الذي استنسخوه من ذلك الكتاب لا زيادة ولا نقصان.

وقال الحسن نستنسخ ماكتبت الحفظة علي بني آدم لأن الحفظة ترفع إلي الخزنة صحائف. وقيل تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا علي العبد ثم إذا عادوا إلي مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات ولا تحول المباحات إلي النسخة الثانية. وقيل إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلي الله عز وجل أمر أن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاباً(١).

معني الإستنساخ عند أهل العلم التجريبي:-

يقصد بالإستنساخ بصفة عامة الحصول علي نسخة أو أكثر طبق الأصل من الأصل نفسه وبالمعني البيولوجي فالإستنساخ يعني معالجة خلية جسمية من كائن معين كي تنقسم وتتطور إلي نسخة مماثلة لنفس الكائن الحي الذي أخذت منه(٢).

وقال بعض علماؤنا في الفقه الإسلامي:- إن قضية الإستنساخ قضية كبيرة وعمل علمي مبهر أنهي الإعتقاد الذي كان موجوداً بأنه لا يمكن أن تحمل الأنثي إلا

(١) تفسير الفتوحات الإلهية جـ٤ صـ١٢١.

(٢) كتاب الإستنساخ قنبلة العصر صـ٢٤. أ. د. صبري الدمرداش .

بتخصيب بويضتها بحيوان منوي من الذكر وتقوم بعمله نواة من خلية من غير حيوان منوي من البويضة بدلاً من النواة المنزوعة منها، سواء أكانت هذه الخلية من أنثي أخري غير الأنثي صاحبة البويضة أم كانت النواة التي ستوضع في البويضة من خلية من خلايا ذكر ليست حيواناً منويًا.

وسماه العلماء إستنساخاً، لأن المولود سيكون طبق الأصل الذي أخذت من خليته النواه التي زرعت في البويضة بدلاً من نواتها المنزوعة فإذا كانت النواة الموضوعة أخذت من أنثي فسيكون المولود أنثي طبقاً للأنثي صاحبة النواة المستجلبة أيضا بكل صفاته الوراثية.(١)

ومما سبق يتضح أن معني الإستنساخ الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل، أي أزالته، ومن معانيه: النقل يقال نسخ الكتاب أي نقله وكتبه حرفاً بحرف، واستنسخ الشئ: طلب نسخه.

والتعريف الطبي:- عملية يقصد منها إستحداث كائن حي مشابه للكائن الذي أخذت منه الخلية الحية، وهذا مضمون ما قاله الأطباء عن الإستنساخ.

ونتيجة ما سبق يتضح:-

إن الناظر بعين الحقيقة والفطرة السليمة لا يجد تشابها بين الخلق الذي هو لله سبحانه وتعالي ولا مجال لإجتهاد علم الإنسان فيها. وليس هناك من مصدر للعلم فيها إلا الوحي الإلهي في القرآن والحديث النبوي وبين ما أثير حول قضية الإستنساخ البشري وإيجاد نسخ لكائن حي. وبالرغم من أن نتائجها مجهولة وصفات الحيوانات المستنسخة غير معروفة. نجد أن الإستنساخ ليس خلقاً فهو يعتمد أساساً علي وجود خلية حية من خلية أخري أليست خلقاً من خلق الله سبحانه وتعالي ويتدخل الإنسان ليعبث بها ويأتي بعواقب وخيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالي. لكن هل إستطاعة الإنسان أن يوجد تلك الخلية؟ يعني أن يخلقها؟ لا.

فيقول الحق سبحانه وتعالي متحدياً البشر جميعاً:" **يا أيها الناس ضرب مثل**

(١) بحث الإستنساخ في ضوء القواعد الشرعية أ. د./ محمد رأفت عثمان.

فأستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لا يخلقون ذباباً ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب"(١).

ولو أن عملية الإستنساخ لو نجحت ستؤدي إلي إختلال التوازن بين الذكور والإناث وتهدد البيئة وذلك محال أن يحدث لقول الحق سبحانه وتعالي:

" وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغني بالأمس كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون". (٢)

(١) سورة يونس آية/ ٢٤.
(٢) سورة الحج آية/ ٧٣.

دعوة القرآن إلي العلم

- كرم الله سبحانه وتعالي الإنسان وميزه عن بقية المخلوقات بالعلم. بين ذلك في أول آية نزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم علي أرجح الأقوال، قول تعالي:

" إقراء بأسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق. إقراء وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"(١).

- فأول شئ نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة وهي أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه علي إبتداء خلق الإنسان من علقه وأن من كرمه تعالي أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية سيدنا آدم عليه السلام علي الملائكة. (٢)

- إن بعض الناس يسمع أن القران الكريم كتاب هداية وليس كتاب علم، فيحسب أن مقتضي ذلك ألا يكون له صلة بالعلم بأي صورة من الصور. وأن مجال كل منهما مستقل إستقلالا تاما عن الاخر. وهذه المقدمة صحيحة. ولكن نتيجتها ليست كذلك. فالجسور التي تصل آيات القرآن الكريم بأبحاث العلوم المختلفة جسور كثيرة. وعندما نقول إن موضوع كل منهما يختلف فإن ذلك لا يعني إنقطاع الصلة بينهما. فالقرآن الكريم يساند العلم بترشيد مساره وإعانته علي كشف حقائق كثيرة. والعلم بأبحاثه يساند القرآن الكريم بتفصيل ما جاء في آياته من إشارات كونيه ونفسيه.

والقرآن الكريم ليس كتاب علم فقط ولكن العلوم بأبحاثها تخدم أغراضها وتستمد منه. سواء فيما قرره من عقائد أو شرّعه من شرائع. وللأسف فإن أسباب كثيرة أخفت هذه الحقيقة فتسلل الإلحاد إلي هذه العلوم. واستعار لشبهاته ثياباً من كشوفها فاستدل بالصحيح علي الفاسد. وتفاقم الأمر حتي صار هذا العصر عصر العلم والإلحاد معاً وارتبط النقيضان إرتباطاً شاذاً مخالفاً لطبائع الأمور.

والغريب أن الإتجاهات الإلحادية لا تقدم للناس حقاً يقوم البرهان علي صدقه ولا

(١) سورة العلق آية/ ١:٥
(٢) تفسير بن كثير جـ٤ صـ٥٢٨.

خيراً يقوم الدليل علي نقضه. ومع ذلك وجدت في ساحة العلم متكأ لشبهاتها فراجت بين كثير من الناس. والأمة المسلمة هي الشهيدة علي الناس بدليل قوله تعالي:

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"(١).

فمن مهمة هذه الأمة أن تكشف الحق والباطل والصالح والفاسد فيما يلقي إلي البشرية من إعتقادات وقوانين. وقد انتدبها الله سبحانه وتعالي لهذه الأمة لأنها تملك كلامه.

قال تعالي: **" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"(٢).**

ويدخل في هذه المهمة كشف زيف ما يحدث من إكتشافات تتناقلها وسائل الإعلام وتروج لها القوة الملحدة بفرض التشكيك في قدرة الله سبحانه وتعالي. وينساق ورائهم ضعاف الإيمان. أصحاب القلوب المريضة والنفوس الأمارة بالسوء. بحثاً عن جاه أو مال أو منصب.

ومن ثم نري أن الحق سبحانه وتعالي أمر سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم أن يزداد من العلم: **" وقل ربي زدني علما"(٣).**

كما قال سبحانه وتعالي: **" وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما"(٤).**

- ويؤكد المولي عز وجل أن البشرية مهما بلغت من التقدم والرقي فهي جاهلة فبحر العلم واسع.

قال تعالي: **" ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"(٥).**

(١) سورة البقرة آية/ ١٤٣.
(٢) سورة الأحزاب آية/ ٤.
(٣) سورة طه آية/ ١٤.
(٤) سورة النساء آية/ ١١٣.
(٥) سورة الإسراء آية/ ٨٥.

- وبذلك إعتاد العلماء الآن يستقبلوا بعد كل جديد مساحات جديدة من المجهول. وهذا حاصل في الكون. كما هو حاصل في الإنسان مما دعا الدكتور الكسيس كريل أن يقول:-

« يبدو وكأن الذين يدرسون الحياة. قد ضلوا طريقهم في غاب متشابك الأشجار. أو أنهم في قلب دغل سحري لا تكف أشجاره التي لا عداد لها. عن تغيير أماكنها وأحجامها »(١).

كما قال نفس العالم:-

« أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان مازال غير كاف وإن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية في الغالب »(٢).

- فإذا إعتبرنا الكون كتاب الله المشهود. والقرآن كتابه المقروء فإن أول آية نزلت منه علي أرجح الأقوال كما أشرنا سابقاً بداية سورة العلق.

- حدود التفكير العلمي في القران:-

إن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: « **تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا** »(٣).

معني ذلك أن التفكير مباح في كل الكائنات. ولهذا تكرر ذكر العقل والتفكير في القرآن عشرات المرات، فقد وردت مادة « عقل » بصيغة المضارع « يعقلون- تعقلون- يعقل- نعقل » في خمسين آية:

والعقل في اللغة ضد الحمق. سمي العقل لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن وهو القوة المهيئة لقبول العلم ويشير القران إلي العقل بمعانيه المختلفة مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد من التفكر والنظر والتدبر

(١) الإنسان ذلك المجهول صـ١٥. ترجمة شفيق أسعد فريد- مؤسسة المعارف ببروت.
(٢) المرجع السابق صـ١٧.
(٣)

والحكمة والتذكر والعلم والفقه والرشد إلي غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية علي إختلاف معانيها وخصائصها.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلي الله عليه وسلم.. فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني ليلة ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربي؟ فقلت يا رسول الله إني أحب قربك وأحب هواك وقد أذنت لك. فقام إلي قربه ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء. ثم قام يصلي فقرأ القرآن وجعل يبكي حتي بلغت الدموع جفونا ثم جلس فحمد الله وأثني عليه وجعل يبكي. ثم رفع يديه فجعل يبكي حتي رأيت دموعه قد بللت الأرض. فأتاه بلال يؤذن بصلاة الغداة فرآه يبكي. فقال يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا بلال أفلا أكون عبداً شكورا؟ ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة تلك[1] الآية الكريمة:-

قال تعالي: " **إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** »[2].

- كل هذه الظواهر عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبر وينظر. ليدرك الأسرار والعجائب ويستدل بما فيها من إتقان وإحكام علي قدرة الخالق المبدع. ووحدانية الإله المدبر. ورحمة اللهه التي وسعت كل شئ. وذلك من كمال الحكمة وإكتمال الكون الدال علي وجود الله وأنه إله واحد. وإله كل شئ. وخالق كل شئ.

جاء في الحديث النبوي الشريف: « **إن في خلق السموات** » ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها »[3] أي قذف والمراد: عدم الإعتبار والتفكر والإعتداد بها.

(١)
(٢) سورة البقرة آية/ ١٦٤.
(٣)

أشاد القرآن الكريم بتكريم العلماء بالعلم.

بدليل قوله تعالي: " **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** »[1].

هذه الآية دليل علي فضل العلم وشرف العلماء لأنه لو كان أحد أشرف وأكرم من العلماء لقرنهم الله سبحانه وتعالي بإسمه وإسم ملائكته وهذا تشريف وتكريم للعلم والعلماء[2].

وآيات آخري كثيرة تدل علي تشريف العلم والعلماء منها قوله تعالي:

" **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** "[3].

ومن الايات التي تدل علي أن العلم في المرتبة الأولي، قوله عز وجل:

" **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب** »[4].

قال بعض العلماء من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يصرف نفسه ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا وسمي العلم والقرآن « **خيراً كثيراً** »[5].

- ومن نصوص السنة النبوية التي تحدثنا علي فضل العلم وشرفه.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:-« **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة علي أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتي يأتي أمر الله** »[6].

(١)سورة آل عمران آية/ ١٨.
(٢) تفسير القرطبي جـ٢ صـ٤١٠.
(٣) سورة المجادلة آية/ ١١.
(٤) سورة البقرة آية/ ٢٦٩.
(٥) تفسير القرطبي جـ٢ صـ٢٨٤.
(٦) رواه البخاري جـ١ صـ٢ ط الشعب.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: « من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلي الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتي الحيتان في الماء وفضل العالم علي العابد كفضل القمر علي سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دنياراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »(١).

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة التي توجب طلب العلم وتظهر فضله ومكانته.

ومن العرض السابق نلاحظ أن العلم الإسلامي هو غذاء العقل لأنه ليس علم الدين وحده وإنما علم الدين والدنيا وهو واسطة لمعرفة الله عز وجل كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوي الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان لا في دماره وهلاكه.

كما يحدث الأن في عصر التقدم والحضارة والإكتشافات التي لا تهدأ ويروج لها الملحدون وإن بدت في ظاهرها الرفاهية للإنسان وحل مشاكله إلا أن في باطنها الدمار والهلاك له.

- **حكمة الله تعالي في التعدد والإختلاف في خلق الإنسان:-**

يقول تعالي:-

" ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم "(٢).

وقال عز وجل:

" ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون "(٣).

وقال عز من قائل:-

" وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثي "(٤).

(١) رواه الترمذي جـ٥ صـ٤٨، ٤٩ رقم ٢٦٨٢.
(٢) سورة الروم آية/ ٢٢.
(٣) سورة لبذاريات آية/ ٤٩.
(٤) سورة النجم آية/ ٤٥.

- هي حكمة الله في التعدد والإختلاف، فلم يكن هنا التعدد والتنوع في الخلق نسخاً مكررة من أصل واحد. أي إستنساخاً لفرد معين في التكوين والأخلاق والطباع والسلوك. وهذا الإختلاف آية من آيات الله الكونية. فلم يخلق الله عالما واحداً ولكنه خلق عوالم متعددة علي أحوال متفاوتة في التنوع والتعدد. ووجود الإنسان وبقاؤه في الكون يتوقفان علي هذا التعدد والإختلاف.

وإن الأمر لا يتوقف عند هذا. ولكنه يتجاوزه إلي تنوع تضاد.

وهذا الإختلاف والتضاد هما اللذان يقوم عليه الوجود كله. وليس من المتصور نظرياً ولا علمياً أن يقوم الوجود علي أحد المتضادين دون إعتداد بالآخر »(١).

إن الله حينما نوع الأجناس لم يرد أن تتناكر وتتخالف. ولكنه أراد أن تلتقي وتتألف. وإختلاف الناس شعوباً وقبائل للتعاون والتعارف.

قال سبحانه وتعالي:-

" يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "(٢).

فإختلاف الشعوب له غاية جليلة أرادها الله سبحانه وتعالي وهو التعارف. وهذا التعارف له ظواهر منها اللقاء علي مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام. ومنها أيضا التعاون علي أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض.

وإن إستمرار الحياة لا يتأتي إلا بوجود الذكر والأنثي.

فالخلق من ذكر وأنثي يعني أن الحياة تنتج من إلتقاء الأنواع المتضادة.

فالذكورة ضد الأنوثة. وكل من الزوجين مضاد للاخر. وليس هذا في الأنواع الحية من إنسان وحيوان ونبات فحسب ولكنه شأن الوجود كله.

قال تعالي:

" ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون "(٣).

(١) دكتور أحمد محمد علي أستاذ بكلية اللغة العربية ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية.
(٢) سورة الحجرات آية/ ١٣.
(٣) سورة الذاريات آية/ ٤٩.

وقضية خلق السموات والأرض لا تتوقف دلالتها عند عظمة الخلق التي يستدل بها علي عظمة الخالق خاصة أن الله يبين لنا أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

هكذا علي الإطلاق فالزوجان سر الوجود كله، والتزاوج المنتج هو تزاوج ضدين لا تزاوج تماثل.

فالإسرة المكونة من متماثلين- لو وجدت- رجلين أو إمرأتين. لا تنتج شيئا ولو تصورنا جدلاً أن نظام الأسرة في الوجود كله قام علي متماثلين لفنيت الحياة.

وهذا القانون الإلهي في الوجود يفهمه الحيوان بالغريزة، ويفهمه الإنسان العادي بالفطرة، ويعلمه الأنبياء والمرسلون والمؤمنون بالوحي الإلهي. والإنسان مأمور بأن يحقق الإنسجام بين حركته الحرة المختارة وبين سنن الله الكونية.

وبداية خلق الإنسان تعتمد علي إتحاد وتزاوج ضدين: الذكر والأنثي. الحيوان الذكري من الرجل والبويضة من المرأة. وينتج منهما بإتحادهما حياة جديد وخلق مختلف عن أي منهما- ذكراً أو أنثي- وهكذا تستمر الحياة.

« وتنتقل الصفات الوراثية من جيل إلي جيل، ومثلاً صفة لون الجلد وهي تنتقل مثلها مثل الصفات الوراثية... بناء علي نظام بالغ الدقة والإعجاز مما هو فوق تصور العقل البشري.. ومما يقدم دليلاً علي قدرة الخالق البارئ المصور تبارك وتعالي وحكمته في خلقه...

قال تعالي:

" وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون"(٢).

يقوا الإمام القرطبي:-

« ذرأ » أي خلق. ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً خلقهم.. ما ذرأه الله سبحانه منه مسخر مذلل كالدواب والأنعام والأشجار وغيرها...

(١) سورة النحل آية/ ١٣.

« **مختلفاً ألوانه** » هيئاته ومناظره، يعني الدواب والشجر وغيرها... (١)

ويقول الله عز وجل:-

"ومن اياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"(٢).

لقد قرن الله تعالي خلق السموات والأرض، وما فيهما من إعجاز في الخلق ودقة النظام، وإبداع التصوير.. قرن هذه الآية العظيمة في الخلق بآية إختلاف اللغات وإختلاف الألوان في شعوب الأرض وسلالات البشر... مما يدل علي أنها آيتان متساويان في الإعجاز في الخلق، والإبداع في الصنع.. فالله سبحانه وتعالي خلق السموات المرتفعة بدون عمد، المزينة بالكواكب. والنجوم الثوابت والسيارات وخلق الأرض بطبقاتها المترعة بالكنوز والمعادن والخيرات، المثبتة بالجبال المشتملة علي الوديان والقفار. والبحار. والحيوان، والأشجار..

لم يكن ذلك الكون فارغاً من المخلوقات، وإنما أوجد فيه الأنس بالناس ذوي الجنسيات المتعددة. واللغات المختلفة. والألوان المتنوعة. والأصوات المتميزة والسمات والهيئات والتقاطيع المتفاوتة كإختلاف البصمات وغير ذلك من حسن وجمال، وقبح وتفاوت بالرغم من كونهم من أصل واحد وأب واحد وأم واحدة. قال تعالي:-

"بلي قادرين علي أن نسوي بنانه"(٣).

إن في ذلك المذكور لآيات دالة وحكمة عظيمة علي تمام قدرة الله سبحانه وتعالي لقوم ذوي عقول نافذة وأفكار مبصرة. وعلوم نافعة تهديهم إلي الحق، وترشدهم إلي التفكير في المخلوقات. وتبين لهم أنها خلقت بما فيها من إختلاف لحكمة بالغة. ومصلحة راقية. لا عبثاً ولا فساداً.

(١) تفسير القرطبي جـ٥ صـ٤٩٠.
(٢) سورة الروم آية/ ٢٢.
(٣) سورة القيامة آية/ ٤.

- ويحدثنا الله تعالي أيضا عن الإعجاز في خلق إختلاف الألوان. مما لا يدرك أبعاد مقدرة الله فيه« إلي العلماء المتخصصون. يقول تعالي:-

" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشي الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور"(١).

- ينبه الله تعالي علي كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة من الشئ الواحد. وهو الماء الذي ينزل من السماء فيخرج به الثمرات مختلف ألوانها.

قال تعالي:-« **ألم تر أن الله أنزل من السماء ....الاية**»

أي ألم يشاهد الإنسان أن الله تعالي خلق الأشياء المختلفة من الشئ الواحد فأنزل الماء من السماء وأخرجه ثماراً مختلفة الأجناس والأنواع والطعوم والروائح والألوان من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وأسود ونحو ذلك. كما قال تعالي في آية أخري:-

" وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها علي بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"(٢).

« **ومن الجبال جدد بيض وحمر..**الآية» أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو مشاهد من بيض وحمر وفي بعضها طرائق وهي مختلفة الألوان أيضا.

(**ومن الناس والدواب...**الآية).

أي وخلق أيضا خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم مختلفة الألوان في الجنس الواحد، بل وفي النوع الواحد وفي الحيوان الواحد.

(١) سورة فاطر آية/ ٢٧، ٢٨.
(٢) سورة الرعد آية/ ٤.

كإختلاف الثمار والجبال. وقوله:(مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه، كما في قوله تعالي:-

" ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم"(١).

ذكر سبحانه إختلاف الألوان والإصباغ في هذه الأشياء. لأن هذا الإختلاف من أعظم الأدلة علي قدرة الله وبديع صنعه. فذكر أولاً إختلاف الألوان في ثمار النبات. ثم ذكر إختلاف الألوان في الجمادات، ثم في الناس والحيوان.

" إنما يخشي الله من عباده العلماء. إن الله عزيز غفور".

إن العلماء بطبيعة تركيب الكون ودقائقه. وبصفات الله وأفعاله هم الذين يخافون قدرته. فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته علي المعصية ومن لم يخشي الله فليس بعالم. كما قال الربيع بن أنس. والخشية بمعرفة قدر المخشي، والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه. وهذا دليل علي أن العالم أعلي درجة من العابد. لأن الله بين أن الكرامة بقدر التقوي. والتقوي بقدر العلم.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:-« ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه، فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(٢).

- إن تعدد الألوان في المخلوقات جميعاً. هو سر جمالها ورونقها ولا يترتب علي إختلاف لون جلد الإنسان. أي ميزة عقلية أو ذهنية أو حضارية فيه.

فلون الجلد صفة من الصفات الوراثية.. ولا علاقة بينها وبين ذكاء الإنسان.. ولا عن إستعداده الفطري للتعلم، ولبناء حضارة. أكثر من إنسان آخر بلون آخر.

إن التفرقة العنصرية بناء علي لون الجلد خطأ كبير... وأكذوبة كبري.. ولا يعترف الإسلام بذلك مطلقاً...

(١) سورة الروم آية/ ٢٢.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري جـ٥ صـ٢٩ كتاب الإعتصام باب ما يكره من التعمق والتنازع وأخرجه مسلم في صحيحه جـ٤ صـ١٨٢٩ كتاب الفضائل باب علمه صلي الله عليه وسلم وشدة خشيته.

ولقد قال النبي- صلي الله عليه وسلم-: « **إن الله لا ينظر إلي صوركم. ولكن ينظر إلي قلوبكم وأعمالكم** »(١) ويقول عليه الصلاة والسلام: « **كلكم لآدم وآدم من تراب. لا فضل لعربي علي أعجمي ولا لأبيض علي أسود إلا بالتقوي** »(٢).

وسمع النبي -صلي الله عليه وسلم- رجلاً يقول لآخر يا ابن السوداء معيراً له سواده فغضب عليه السلام وقال: « **لقد طف الكيل ليس لابن البيضاء علي ابن السوداء فضل إلا بالتقوي** »(٣).

ولقد كان بلال بن رباح، وعمار بن ياسر من كبار الصحابة.. ومن المقربين لرسول الله- صلي الله عليه وسلم- كانا ذا جلد أسود اللون.. ولم يقلل لون جلدهم من علو شرفهم وإرتفاع شأنهم عند الله ورسوله... وعند المسلمين كافة.

فإختلاف ألوان البشر آية من آيات الله في خلقه. وليست إمتيازاً لأحد ولا عيباً لإنسان.. ولا مقياساً لفهم أو ذكاء.

ومن حكمة الله العظيمة في التعدد والإختلاف في الخلق. خلق السموات والأرض. ثم إختلاف الكلام واللغات العديدة في العالم من عربية وغيرها. وإختلاف الألوان من البياض والسواد والحمرة. وإختلاف الأصوات والصور ومقاطع الجلد وتقاسيم الوجه وغير ذلك. فلا تكاد تري أحد إلا وأنت تفرق بينه وبين الاخر. وليست هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين. فلا بد من فاعل. ولا فاعل إلا الله سبحانه وتعالي الخالق البارئ المصور.

- ونجد أن التعدد والإختلاف في الحجم واللون والوظيفة هي في الإسلام أدلة علي قدرة الله سبحانه وتعالي:-

- فالقرآن الكريم يعرض ملامح التشابه والإختلاف في الحياة الإنسانية في البيئة البشرية بعد الطبيعة، وفي الأنفس بعد الأفاق.

(١) أخرجه مسلم جـ٤ صـ١٩٨٧ كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم وخذله.
(٢) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده جـ٢ صـ٨ ط تصوير مكتبة الثقافه.
(٣) أورده الزبيدي في اتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين جـ٨ صـ٣٧٥ كتاب التعجب والبر باب ما به من كبر

وإرتجازاً علي عقيدة التوحيد في الإسلام- وهي جوهره- يقول تعالي:-

" **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** "(١).

. الخالق واحد. والنفس واحدة، منها خلق الله زوجها. ومن هذه الأسرة تشعبت الناس رجالاً ونساء، والأمر بتقوي الله والأرحام دلالة علي هذه الصلة التي تربط الناس جميعاً مع تنائي الديار وتتابع العصور وإختلاف الألسنة والألوان وتباين الوضع الإقتصادي والإجتماعي.

ونحن كبشر لم نشهد خلق أنفسنا. ولا خلق السموات والأرض.

قال تعالي:-

" **م ا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** "(٢).

ولم نري النفس الإنسانية إلا في تعدد ألسنتها وألوانها. إن نظرة الإسلام إلي ذلك لا تعدو نظرته إلي تباين الألوان في الظاهرات الطبيعة وإن القرآن ليذكرهما معا دون أن يفرد لكل طائفة منها دراسة خاصة.

يقول عز وجل:-

" **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون. يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون. ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون. ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.**

(١) سورة النساء آية/ ١.
(٢) سورة الكهف آية/ ٥١.

ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين. ومن اياته منامكم بالليل والنهار وإبتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"(١).

وقال سبحانه وتعالي:-

" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشي الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور"(٢).

في الآيات السابقة ربط بين هذه الظاهرات جميعها وضرورة البحث العلمي فيها. وإطمئنان من القرآن الكريم إلي ما ينتهي إليه البحث العلمي المنصف من نتيجة.

وإنطلاقاً من وحدة الأصل الإنساني وتعدد وإختلاف الألسنة والألوان. يعالج القرآن الكريم التوزيع المكاني للناس وحياتهم شعوباً وقبائل ويبين لهم بإسلوب موجز الحكمة في الإختلاف والتعدد. فيقول عز من قائل:-

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير"(٣).

فالإسلام ينظر إلي الإنسانية كأنها حديقة كبيرة. تختلف ألوان أزهارها. دون أن يكون للون فضل علي لون ولابد من ذلك حتي يمكن التمايز والتعارف.

(١) سورة الروم آيات من ١٧- ٢٤
(٢) سورة فاطر آية/ ٢٧، ٢٨
(٣) سورة الحجرات آية/ ١٣

وإلي هذا ذهب رسول الله- صلي الله عليه وسلم- في حديثه الذي يقول فيه:

« أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم. وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش »(١).

فهؤلاء السابقون من شعوبهم إلي الإسلام ضمهم مع نفسه. في باقة إنسانية مؤمنة. دون النظر إلي إختلاف ألوانهم.

(١) الحاكم في المستدرك ٣: ٢٨٥، ٤٠٢ عن أنس.

خلق الإنسان

مقدمة:-

منذ وجد الإنسان علي ظهر الأرض وتفتح قلبه وعقله علي الكون المحيط به وهو موضعاً للتأمل ومجالاً للبحث في كل عصر ومكان حسب درجة الصورة ما تتفق مع درجة الباحث أو المتأمل من مستوي عقلي أو نضج فكري أو العلم التجريبي.

فكان الإنسان هو المشكلة الكبري التي رام الفكر البشري والبحث العلمي حلها وتطلع إلي الوقوف علي الحق فيها. بالعقل تارة وبالبصيرة أخري.

كانت هناك الأديان المتعددة والمختلفة بإختلاف الأمم والشعوب لكل منها فكرته ورؤيته عن الإنسان. وإن كانت مغلفة بالأساطير، مكسوة بأثواب الطقوس الدينية- تخضع في طريقة التعبير عنها للأسلوب الذي يتفق مع مستوي حضارة كل أمة.

ورغم الإهتمام الكبير بمشكلة الإنسان علي إمتداد الزمان والمكان فالباحث لا يستطيع أن يجد في هذه المشكلة ما يشفي غليله ويشبع قلبه وعقله في ذلك سواء كانت فكرية أو دينية أو مادية.

لهذا كان الوحي الإلهي هو أوثق المصادر التي يستطيع الباحث أن يجد فيها غايته في مشكلة الإنسان. ولما لا؟ والذي أنزل الوحي وأرسل الرسل هو الذي خلق الإنسان.

ومنذ وجد الإنسان علي الأرض بدأت الرسالات السماوية في النزول إلا أن طول الزمان ومع الأهواء البشرية. أدي إلي شوب الوحي الإلهي بالدخيل من الفكر البشري والباطل من الخيال ووقوع التحريف والتبديل في الكتب السماوية السابقة.

لذا كان القرآن الكريم هو أوثق المصادر علي الإطلاق التي تقدم لنا الحقيقة الكاملة عن الإنسان وخلقه. لأنه الكتاب السماوي الذي تكفل الله تعالي بحفظه فقال تعالي:-

" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(١).

وهو الكتاب الذي لا ريب فيه حيث قال جل شأنه:-

" ذلك الكتاب لا ريب فيه"(٢).

بداية خلق الإنسان:-

في القرنيين الماضيين ظهرت كثير من النظريات والإفتراضات التي حاول أصحابها ومدعيها أن يدللوا بها علي كيفية نشأة الإنسان علي الأرض منها (نظرية النشوء والإرتقاء) لـ تشارلز داروين.. وأخذ يحاول إثبات نشأة الخلق علي أساس الصدفة والعشوائية بدونبدون خالق ولم يكن ذلك الرجل أول من فكر في تلك النظرية الإلحادية. فقد سبقه الكثيرون-كان منهم« kant » الألماني سنة ١٧٨٦- الذي ألف كتاباً بعنوان(الأسس الميتافيزيقية للعلم الطبيعي).. بدون دليل علمي أكيد.

-وهذه الظريات من حيث القيمة العلمية لا ترقي إلي مستوي النظريات العلمية التي يعتد بها وأنها أقرب إلي الخيال والظن والتخمين فهي إذن ليست بالنظرية التي تبحث حيث أن هناك فارق كبير بين الإنسان والقرد الذي إدعوا أنه أصل الإنسان. وهو الفارق الروحي وهو يعد من أهم الحلقات المفقودة وأكبر فجوة من الفجوات التي لم يستطع الآثار الحديثة أن تكملها أو تملأها ولم يستطع علماء الحيوان أن يؤكدوا وجود أصل حيواني لروح الإنسان ثم إن « داروين» نفسه قد إعترف بوجود ثغرات واسعة في نظريته تنتظر سد خلتها كما إعترف بأنه يتكلم عن الأطوار التي توثر في جسد الإنسان ولا شأن له بما عدا ذلك من الملكات الروحية التي يقررها الدين»(٣).

منشأة الإنسان والبحث في أصل الأنواع وأصل الإنسان إنما هو مسألة إلهية غيبية فلا يستطيع بشر مهما أوتي من علم أن يفصل فيها بعقله ورآيه مهما إدعي

---

(١) سورة الحجرات آية/ ٩.
(٢) سورة البقرة آية/ ٢.
(٣) كتاب معالم تاريخ الإنسان للدكتور ولز لجنة التأليف والترجمة صـ٢٣، ٢٤ والإنسان في القرآن للعقاد صـ٨٩.

المعرفة والتجريب وأن الله عز وجل قد سجل في محكم كتابه أن هذه المسألة لم يشهدها مخلوق حتي يستطيع أن يبدي فيها برآيه ويدل علي ذلك قوله تعالي:-

" ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا"(١).

ما أشهدتهم: الضمير يعود علي إبليس وذريته.. وقيل كناية في القول ترجع إلي مفكري البحث ومفكري وجود الله تعالي، وكلا الرآيين صحيح ، فذرية إبليس من شياطين الجن.. ومكنروا البعث بعد الموت من شياطين الإنس... ووصفتهم الآية بالمضلين.

- كما أعتقد بعض الفلاسفة منذ عصر الإغريق أن الحياة نشأت في الأرض تلقائياً.. وبرهنوا علي زعمهم هذا بإعتقاد علمي خاطئ.. وهو نشأة الذباب من المواد المتحللة تلقائياً.. وقالوا إن ما حدث لنشأة الذباب حدث لنشأة كل الأحياء علي الأرض.

وظل هذا الإعتقاد المخطئ في نظر المفكرين والعلماء صحيحاً عشرين قرناً من الزمان من القرن الثالث ق.م إلي القرن السابع عشر الميلادي حتي توصل العالم الإيطالي- ردي R edi- في القرن السابع عشر إلي إكتشاف دورة حياة الذباب.. وأن الذباب لا ينشأ تلقائياً من المواد المتحللة ولكن الذباب يضع بيضه بين المواد المتحللة فيفقس البيض وتخرج فيه اليرقات ومن اليرقات تخرج الحشرات، التي تتزاوج وتضع الإناث بيضها بين المواد المتحللة، وهكذا تستمر دورة حياة الذباب.. وثبت للعلماء بعد القرن السابع عشر أن الحياة لابد أن تنشأ من حياة.(٢)

وصدق الله العظيم حين يقول:-

" يا أيها الناس ضرب مثل فإستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله

(١) سورة الكهف آية/ ٥١.
(٢) كتاب أطوار الخلق للدكتور أحمد شوقي صـ١٩.

لن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب"(١).

يقول بن كثير في تفسيره:-(يا أيها الناس ضرب مثل) أي لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به(فاستمعوا له) أي أنصتوا وتفهموا. **(إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا له)** أي لو إجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد علي أن يقدروا علي خلق ذباب واحد ما قدروا علي ذلك كما قال الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً قال« ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة» وأخرجه صاحبا الصحيح عن أبي هريرة عن النبي- صلي الله عليه وسلم - قال: قال الله عز وجل« ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة»(٢) ثم قال تعالي أيضا:(**وإن يسلبهم الذباب شيئا لن يستنقذوه منه)** أي عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والإنتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب... والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها»(٣).

فالآية السابقة تدل أن الإنسان وما يعبد من غير الله من أصنام وأنداد لن يقدروا علي خلق ذبابة واحدة حتي ولو تعاون وإجتمع لهذه المهمة جميع تلك المعبودات. أي كما أنهم عاجزون عن خلق ذبابة واحدة. هناك ما هو أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والإنتصار منه. فلو سلبهم الذباب شيئا لا يقدرون أن يستنقذوه منه. علماً بأن الذباب أضعف مخلوقات الله.

(١)سورة الحج آية/ ٧٣.
(٢)أخرجه أحمد في مسنده جـ٢ صـ٢٣٢ مسند أبي هريرة رضي الله عنه ط بيروت لبنان.
(٣)تفسير بن كثير جـ٣ صـ٢٣٥.

- **الماء أصل كل شئ حي:**

معظم النظريات القديمة عن بدء الخلق، تؤكد أن الحياة إبتدأت في البحار البدائية من مواد بروتوبلازمية.. ولا ندري علي أي دليل بنوا هذا التأكيد!

وفي رأينا أن تلك النظريات عن نشأة الحياة في الماء مجرد ظن لا يرتقي حتي ألي مستوي النظرية العلمية... والصحيح أن الحياة لم تخلق في الماء... وإنما خلقت من ماء.. وحدثت كل العمليات الحيوية من ماء.. فالخلق من ماء وليس في الماء.(١)

قالتعالي: **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي علي بطنه ومنهم من يمشي علي رجلين ومنهم من يمشي علي أربع يخلق ما يشاء إن الله علي كل شئ قدير"**(٢).

قال الإمام القرطبي:-« **والله خلق كل دابة من ماء**» بها قراءتان« الله خالق كل» بالإضافة « وخلق» علي الفعل. قيل (إن المعنيين في القراءتين صحيحان. وقد قيل: إن« خلق» لشئ مخصوص. وإنما يقال خالق علي العموم كما قال عز وجل:" الخالق البارئ".

وفي الخصوص« **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض**» كذا« هو الذي خلقكم من نفس واحدة» فكذا يجب أن يكون «**الله خالق كل دابة من ماء**».

والدابة كل ما دب علي الأرض من الحيوان. لم يدخل في هذا الجن والملائكة، لأنا لم نشاهدهم ولم يثبت أنهم خلقوا من ماء. بل في الصحيح« أن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار».

قال المفسرون:« من ماء» أي نطفة. قال النقاش: أراد أمنية الذكور، وقيل: أراد أن خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق آدم من الماء والطين.وعلي هذا يتخرج قول النبي صلي الله عليه وسلم للشيخ الذي سأله في غزوة بدر: ممن أنتما؟ فقال رسول الله-صلي

(١) أطوار الخلق في تاريخ الإنسان بين القران والعلم- الكتاب الأول- د/ أحمد شوقي إبراهيم.
(٢) سورة النور آية/ ٤٥.

الله عليه وسلم-« نحن من ماء» الحديث(١)

وقال قوم: لا يستثني الجن والملائكة. بل كل حيوان خلق من الماء. وخلق النار من الماء. وخلق الريح من الماء. إذ أول ما خلق الله تعالي من العالم الماء. ثم خلق منه كل شئ.

قلت: ويدل علي صحة هذا قوله تعالي: **فمنهم من يمشي علي بطنه**» المشي علي البطن للحيات والحوت، ونحوه من الدود وغيره. وعلي الرجلين للإنسان والطير إذا مشي. والأربع لسائر الحيوان... أي لولا أن للجميع صانعاً مختاراً لما إختلفوا. بل كانوا من جنس واحد.(٢)

وكذا ذكر الإمام ابن كثير: يذكر تعالي قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات علي إختلافات أشكالها وألوانها وحركاتها وسكانتها من ماء واحد... ولهذا قال (يخلق الله ما يشاء) أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال(**إن الله علي كل شئ قدير**).(٣)

من معني الآية السابقة نجد أن الله سبحانه وتعالي خلق كل أنواع الحيوانات التي تدب علي الأرض من ماء واحد هو جزء مادتها وأساس تكوينها. أو هو النطفة التي يحملها المني الحيواني الذي تلقح به بويضة الأنثي في منيها. وسبب تخصيص الماء بالذكر أنه أصل الخلقة الأول. ولأنه لا بقاء للحيوان بدونه. ولأن آثار التراب تمتزج فيه.

وأنواع الحيوان كثيرة، فمنها من يمشي زحفاً علي بطنه باقباض عضلات البطن وإنبساطها كالحيات والأسماك وسائر الزواحف.

ومنها من يمشي علي رجليين كالإنسان والطير، ومنها من يمشي علي أربع كالأنعام وسائر وحوش البر.

(١) أورده ابن كثير في كتابه البداية والنهاية جـ٣ صـ٢٦٤ باب غزوة بدر الكبري.
(٢) تفسير القرطبي جـ٧ صـ١٧٠، ١١٧- النور الإسلامية للطبع والنشر.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٩٨.

قال تعالي:

"وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديرا" »[1]

قال المفسرون:

أي خلق من النطفة إنسان.(فجعله) أي جعل الإنسان (**نسباً وصهراً**)

وقيل:(**من الماء**) إشارة إلي أصل الخلقة في أن كل حي مخلوق من الماء...

(وكان ربك قديرا) علي خلق ما يريده.[2]

وقال عزوجل:

" وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون"[3].

قال بن كثير:- (**وجعلنا من الماء كل شئ حي**) أي أصل كل الأحياء.

عن أبي هريرة أنه قال يا رسول الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شئ. قال:«**كل شئ خلق من ماء**»[4].

وقال الإمام أحمد عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني عن كل شئ. قال« كل شئ خلق من ماء»[5].

- وذكر الإمام القرطبي في قوله تعاي:(**وجعلنا من الماء كل شئ حي**) ثلاث تأويلات: أحدهما- أنه خلق كل شئ من الماء، قاله قتادة. الثاني- حفظ حياة كل شئ بالماء. الثالث- وجعلنا من ماء الصلب كل شئ حي، «جعلنا» بمعني خلقنا[6]

(١) سورة الفرقان آية/ ٥٤.
(٢) تفسير القرطبي جـ٧ صـ٢٥١، ٢٥٢.
(٣) سورة الأنبياء آية/ ٣٠.
(٤) أخرجه محمد في مسنده جـ٢ صـ٢٩٥.
(٥) المرجع السابق جـ٢ صـ٢٩٥.
(٦) تفسير القرطبي جـ٢ صـ٤٤٥.

دلت الآيات السابقة:

أن الله سبحانه وتعالي جعل الماء سبباً للحياة، فالله تعالي خلق كل شئ من الماء وحفظ حياة كل شئ بالماء، وأوجد الإنسان من ماء الصلب. فكل حيوان من النطفة التي هي ماء. ولا ينبت النبات إلا بالماء.

فالخلق كان من الماء وليس في الماء كما كان الفلاسفة في العصور الماضية يعتقدون وكما يعتقد من ينقل عنهم ويروج إدعائتهم في عصرنا هذا أيضا.. لقد ذكر القرآن الكريم كما ذكرنا في الآيات السابقة أن خلق الدواب وخلق الإنسان من الماء. ولم يبدأ الخلق في الماء ومثبت ذلك أيضا في الحديث النبوي كما ذكر.

- الإعلام الإلهي في الملأ الأعلي عن بدء خلق آدم

في تاريخ كل إنسان أب و أم... عدا ثلاثة من البشر آدم وزوجته، والمسيح عيسي بن مريم.. لم يكن للمسيح أب.. ولم يكن لزوج آدم أم.. ولم يكن لسيدنا آدم أم ولا أب..

ما عدا هؤلاء الثلاثة من البشر فإن لكل إنسان أب وأم.. ويبتدئ خلق الإنسان في الدنيا نطفة في رحم أمه..

وتحمل خلايا هذه النطفة عوامل الوراثة من كل من الأب والأم ففي كل البويضة من الأم.. والحيوان المنوي من الأب.. ثلاثة وعشرون كروموسوما تحمل عوامل الوراثة ويتحدان معاً، ويكونا النطفة التي تحمل ستة وأربعين كروموسوما يحمل عوامل الوراثة من كل من الأب والأم..

وتظل العوامل الوراثية- التي تتحكم في الصفات الوراثية الخلقية في الجسم- تنتقل من جيل إلي جيل.. وقد تحدث طفرات وراثية- أي تغيرات في عوامل الوراثة- في أحد الناس- لسبب أو لآخر- فتظهر صفة خلقية جديدة لم تكن موجودة في الجيل السابق ومهما ظهرت من طفرات وراثية فإن النظام الوراثي في نوع آخر من المخلوقات.. ولا تتطور إلي سواه..

- نجد أن صفة لون الجلد. أو لون الشعر. أولون قزحية العين، أو طول الجسم أو قصره أو شكل الأنف أو الشفتين.. إنها جميعا صفات وراثية.. تختلف من جنس من البشر إلي جنس آخر.. أو أنها تختلف حتي بين الأفراد في الجنس الواحد..

وذلك بسبب حدوث طفرات وراثية.. حدثت في جيل من الأجيال.. ثم توارثتها الأجيال من بعد ذلك.. وإختلاف صفة من الصفات الوراثية في نفس النوع.

من أعجب أسرار الخلق.. ومن أكثرها إعجازاً(١).

بدليل قوله تعالي:-

(١) أطوار الخلق للدكتور/ أحمد شوقي صـ٣٢. ٣٣.

"ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"(١).

لا تتماثل العوامل الوراثية في نوع من الخلق. مع العوامل الوراثية في نوع آخر من الخلق..

فكل نوع من الخلائق يحمل عوامل وراثية يتميز بها.. وليست موجودة في نوع آخر..

وبهذا النظام الوراثي المحكم تحتفظ الأنواع بخصائصها العامة ولا تتطور إلي نوع آخر.. من الخلق أبداً...

ومع إختلاف النظم الوراثية في أنواع الخلائق.. إلا أنها جميعا مؤسسة علي نفس التصميم البنائي.. ونفس الفطرة.. ووحدة النظام والفطرة في الخلائق جميعا يدل علي وحدانية الخالق سبحانه وتعالي..

مما سبق نفهم أن في كل جسم بشري خلايا.. وفي كل خلية شفرة وراثية مميزة للنوع البشري كله.. ولا يمكن مهما حدث فيها من طفرات وراثية - أن تكون قد تطورت من نوع آخر من الخلق.. ولا يمكن أيضا أن تتطور في مستقبل الزمن. إلي نوع آخر من الخلق.. فالإنسان خلق إنساناً وسيظل إنساناً.. والقرد خلق قرداً وسيظل قرداً.. كذلك باقي الخلائق..

قد تختلف الصفات في البشر علي مر الآلاف من السنين.. فتختلف بعض ملامح الجسم في الإنسان القديم عن الإنسان الجديد.. ولكن لا يختلف النوع أبداً.. فذلك مستحيل علمياً..

وما دام كل إنسان يحمل في خلايا جسمه شفرة وراثية بشرية، إنتقلت إليه وراثياً من آبائه وأجداده.. فإننا إذا عدنا إلي الماضي البعيد جداً.

وقفنا عند رجل وإمرأة لم يكن قبلهما أب ولا أم.. وليس هناك إحتمال علمي

(١) سورة الروم آية/ ٢٢.

آخر..(١)

والله سبحانه وتعالي يخبرنا بأن سيدنا آدم أول إنسان علي هذه الأرض..

قال تعالي:-

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون"(٢).

يقول الإمام ابن كثير:-

يخبر تعالي بإمتنانه علي بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلي قبل إيجادهم فقال تعالي(**وإذ قال ربك للملائكة**) ..(٣)

وقال تعالي:-

"ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين"(٤).

ذلك أنه تعالي لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشراً سويا ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لشأن الله تعالي وجلاله...(٥)

وقوله عز وجل:-

"وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون"(٦).

يذكر تعالي تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له..

(١)المرجع السابق صـ٣٣.
(٢) سورة البقرة آية/ ٣٠.
(٣) تفسير ابن كثير جـ١ صـ٦٩.
(٤) سورة الأعراف آية ١١.
(٥) تفسير أبن كثير جـ٢ صـ٢٠٢.
(٦) سورة الحجر آية/ ٢٨.

وقال عز وجل:-

"إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"(١).

يقول ابن كثير:-

أن الله سبحانه وتعالي أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلام والسلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متي فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً وإحتراماً وإمتثالاً لأمر الله عز وجل..(٢)

فالآيات السابقة تدل علي أن سيدنا آدم هو الإنسان الأول كما يدل عليه قوله تعالي أيضا:.

"وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون"(٣).

وقوله عز وجل:-

"ياأيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجالاً كثيراً ونساء"(٤).

وقوله تعالي:**"وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع(٥).**

"هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها(٦).

وسيدنا آدم وزوجه هما الأصل البشري الأول.

(١) سورة ص آية/ ٧٠، ٧١.
(٢) تفسير بن كثير جـ٤ صـ٤٣.
(٣) سورة السجدة آية/ ٧، ٩.
(٤) سورة النساء آية/ ١.
(٥) سورة الأنعام ٩٨.
(٦) سورة الأعراف آية/ ١٨٩.

كما تري في قوله تعالي:-

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"(١).

فالنفس الواحدة في هذه الآيات يراد بها آدم عليه السلام لأن الله قد خاطب الناس جميعا بقوله« يابني آدم» في كثير من آيات القرآن الكريم.

وآدم ومعه زوجه هما أبوا النوع البشري كله كما يصرح به قوله تعالي:-

" يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة.."(٢).

فهما المعنيان في آية سورة الحجرات بالذكر والأنثي اللذين خلق منهما الناس جميعاً..

وما قرره القرآن من أن آدم هو الإنسان الأول وأبو البشر تؤكده السنة الصحيحة: فقد روي البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال:[يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو إستشفعنا إلي ربنا. فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده. وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ، فأشفع لنا عند ربك حتي يريحنا من مكاننا هذا...](٣)فقد نص هذا الحديث الشريف علي أن آدم« أبو البشر».

- وهذا هو ما أجمع عليه جمهور المسلمين في قصة سيدنا آدم عليه السلام، وهو متفق مع التفكير العقلي المبرأ عن شائبة التقليد.

يقول الإمام فخر الدين الرازي:.

« إعلم أن العقل دل علي أنه لابد للناس من والد أول، وإلا لزم أن يكون كل ولد مسبوقاً بوالد لا إلي أول. وهو محال والقرآن دل علي أن ذلك الوالد الأول هو آدم عليه

(١) سورة الحجرات آية/ ١٣.
(٢) سورة الأعراف آية/ ٢٧.
(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير جـ٦ صـ٢١. ط الشعب.

السلام كما في هذه الآية- يشير إلي قوله تعالي:

"إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"(١).

(١) مفاتح الغيب جـ٨ صـ٧٩.

مراحل الخلق والتطور في الأرحام وموقف العلم منها

تقديم:-

في الفصل السابق تحدثنا عن مراحل تطور خلق الإنسان الأول- سيدنا ادم- من التراب إلي أن أصبح بشراً سوياً، وبينا أن خلق سيدنا آدم عليه السلام كان معجزة إلهية ولم يخضع لقانون بشري أو فكراً إنساني مهما كان هذا الفكر والعلم لأن الإنسان مهما أوتي من علم فعلمه محدود. والإنسان لم يشهد خلق نفسه ولا يعلم عن الخلق الأول شئ سوي من كتب وأساطير الآولين والتي لا تفي بالغرض ولا تشبع العقل والفكر فكلها ظنون وإحتمالات وفروض ولا دليل علي صحتها وثبوتها أو حتي قبولها عقلاً لمن كان له عقل وقلب سليم. ولا يوجد كتاب في العالم قديمه وحديثه تحدث عن كيفية خلق الإنسان الأول ومراحل تطوره. كما جاء في كتاب الإسلام- القرآن الكريم-ولما لا ومن أنزل القرآن هو خالق الإنسان. سبحانه وتعالي.. فهو القائل في كتابه العزيز:.

"**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان**"(١).

وقال عزوجل: "**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**"(٢).

فالقرآن الكريم هو الكتاب والمصدر الوحيد الذي فيه الخبر الصادق والعلم الأكيد عن خلق الإنسان الأول- آدم عليه السلام- وخلق ذريته- بني آدم- يقول المولي عزوجل:" **هل أتي علي الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا**"(٣).

فبين الحين والحين تظهر تخمينات وآراء تتناول كيفية خلق الإنسان فكانت أفكار فلاسفة الإغريق أن مني الرجل يأتي من الدم وما أن يصل إلي نقطة دم من الحيض في الرحم حتي تدب فيها الحياة ويخلق جنين حي. وبعد فترة وتقدم العلم. تأكد العلماء أن مني الرجل لا يأتي من الدم مباشرة كما إعتقد علماء الإغريق من قبل. ولكنه يأتي من

(١) سورة الرحمن اية/ ١-٣.
(٢) سورة الملك آية/ ١٤.
(٣) سورة الإنسان آية/ ١-٢

الغدد التناسلية في جسم الرجل. كما إكتشفوا أن الجنين لا ينشأ من دم الحيض. ولكنه ينشأ من تلقيح بويضة من الأم بحيوان منوي من الأب. وأول ما نزل من آيات الذكر الحكيم(١). من أكثر من أربع عشرة قرناً من الزمان ، نقرأ فيها عن حقائق علمية في المراحل الأولي في خلق الأجنة في سورة العلق قال تعالي:"**إقرأ بإسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق** ...الآية" وذلك من مراحل الخلق والتطور في الأرحام التي سوف أتناولها إن شاء الله في هذا الفصل.

ومرحلة خلق الإنسان جنيناً في بطن أمه خصائص غير مرحلة خلق الإنسان الأول - آدم عليه السلام-فهي مرحلة نراها ونعيشها وتدرس وتخضع للعلم التجريبي ، سنذكر أقوال الأبحاث العلمية عن تلك المراحل ونجد أن القران الكريم ذكر لنا عنها كثيراً من الحقائق والتفاصيل وكذا الحديث النبوي الشريف.

ويبتدئ خلق الإنسان في بطن أمه نطفة لا يزيد قطرها علي١/ ٥ مللي متر وهي خلية بشرية كاملة لا تري إلا بالميكروسكوب.. وهكذا في صنع متقن. وخلق في أحسن تقويم.

وقبل أن أتناول تلك المراحل بالتفسير والبيان سوف أذكر بإيجاز مراحل تاريخ علم الأجنة لما له علاقة الموضوع قيد البحث.

- مراحل تاريخ علم الأجنة:.

اصطلح المتخصصون علي تقسيم تاريخ علم الزجنة إلي ثلاث مراحل هي:.

اولاً: المرحلة الوصفية:

تمتد هذه المرحلة قرابة خمسة وعشرون قرناً من القرن السادس قبل الميلاد وحتي القرن التاسع عشر. وهي مرحلة إتفق العلماء علي تسميتها بمرحلة « علم الأجنة الوصفي» حيث إقتصرت أدبيات هذه المرحلة الطويلة علي وصف الملاحظات المتعلقة

(١) أطول الخلق للدكتور أحمد شوقي صـ٥٨.

بظاهرة تطور الجنين. مع محاولة تفسيرها بطرق متنوعة. وكان غياب المنطق أمراً طبيعياً مع إنعدام وجود الأجهزة التي يمكن أن تساعد العلماء والدارسين علي فهم حقيقة التطورات التي تمر بها حياة الجنين.

ثانياً: علم الأجنة التجريبي-

لم تكتشف بيضة الثدييات إلا في أواخر القرن التاسع عشر وإعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر وحتي الأربعينيات من القرن العشرين بدأت المرحلة التاريخية الثانية.. وهي علم الأجنة التجريبي، وذلك بكتابات« فون باير» و«داروين» و« هيجل- وكان« فون باير» عملاقاً في عصره في هذا المجال. فقد قفز بعلم الأجنة من التجارب والمشاهدات إلي صياغة المفاهيم الجنينية لا العكس.

كذلك تميزت المرحلة التاريخية الثانية بالبحث عن(الآليات). وبرز إسم «ويليهيلم روكسي» في هذا المجال. وإنتقلت الدراسة الجنينية من وصف الملاحظات إلي التدخل ومعالجة الكائنات الحية المتطورة.

وقد شغلت مسألة معرفة الآلية التي يحدث فيها التمايز بين الخلايا إهتمام الباحثين أمثال «ويلسون» و« تيودور» و« بوفيري» و« هاريسون» وبدأ« أوتواربورج» دراسات عن الاليات الكيمائية للتخلق، ودرس« فرانك راتري ليلي» طريقة إخصاب الحوين المنوي للبييضة، كما درس « دهانس سيبما »آليات التفاعل النسيجي كالذي يحدث خلال التطور الجنيني، ودرس « يوهانس هولتفرتر» العمليات الحيوية التي تظهر بعض الترابط بين خلايا الأنسجة فيما بينها وبين خلايا الأنسجة الزخري.

ثالثاً: مرحلة التكنولوجيا الحديثة-

تمتد هذه المرحلة من الأربعينيات حتي يومنا هذا.. وقد أدي تطور الأجنة والتقنيات الحديثة إلي إحداث تأثير كبير علي مجري البحوث والدراسات حتي وصل الأمر إلي أن ما كنا نعرفه قبل أعوام قليلة أصبح يتغير كلية مع التقدم التكنولوجي المتسارع.

وعلي سبيل المثال فإن المجهر الألكتروني، وآلات التصوير المتطورة، وقياس الشدة النسبية لإجزاء الطيف، والكمبيوتر ومجموعة وسائل الكشف عن البروتينات والأحماض النووية، والكربوهيدرات المعقدة وعزلها وتحليلها، يمكن أن تعتبر كلها عوامل تجعل علماء « والأحياء البيولوجي الثمائي» اليوم في وضع يسمح لهم بإجراء تجارب كانت تبدو قبل عقد من الزمن مجرد حلم خيالي ويمكننا اليوم أن نجري تحليلاً دقيقاً مفصلاً لسطح الخلايا خلال تمايزها. ويمكننا أيضا أن ندرس دور النواة، وجبلة الخلية(الستيوبلازم)، والمثابت خارج الخلية بإستخدام تهجين الخلايا وغرس النواة وغرس الجينات في الرحم.

وغير ذلك من التقنيات. ويمكننا أن ننظر الآن إلي الأجنة بوضوح لم يكن تصوره في زمن العالم« ماليجي» ويمكننا أن ننظر داخل هذه الأقسام لنفهم آليات التمايز الطبيعي والشاذ وأيهما أفضل.(١)

الخلاصة-

بعد أن إستعرضنا تاريخ علم الأجنة بإيجاز فيدلنا ذلك علي أن البشرية أهتمت إهتماماً كبيراً بأسرار خلق الإنسان فكان دائماً الإنسان موضوع للتأمل ومجالاً للبحث، فنجد أن المرحلة الأولي من تاريخ علم الأجنة إقتصر علي إستخدام الوصف التخيلي وذلك نقلة وسائل البحث المتقدمة.

وبعد إختراع المجهر اتسمت الدراسات بدقة أكبر. ولم يتم التوصل إلي فهم أدق ووصف أشمل للتخلق الجنيني إلا في هذا القرن وبإستخدام الأجهزة الحديثة.

ولكن من أكثر من أربع عشرة قرناً من الزمان نزلت آيات الذكر الحكيم متضمنة وصف دقيق وشامل للتخلق البشري مع بيان مفصل بأطوار الخلق إبتداء بطور التراب وأطوار خلق الجنين في بطن أمه.

بدليل قوله تعالي:.

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار

(١) من كتاب إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان. د، محمد فياض.

مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا الضغة عظاما ثم كسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"(١).

- فهذه الآيات الكريمة تفصل الأطوار كما يأتي:.

١- طور النطفة ٢- طور العلقة

٣- طور المضغة ٤- طور العظام

٥- طور كسوة العظام لحماً ٦- طور نفخ الروح في الجنين.

ويفسر لنا الرسول- صلي الله عليه وسلم- في الحديث الذي روي في الصحيحين عن ابن مسعود : حدثنا رسول الله- صلي الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق قال: « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتي لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »(٢).

- ونفسر هذه المراحل علمياً ونبين ما بينها وبين آيات القرآن الكريم من توافق .

أولاً: مرحلة النطفة:

قال تعالي:"ثم جعلنا النطفة في قرار مكين"(٣).

تلك المرحلة بداية كل فرد والنطفة المقصودة هنا هي نطفة الأمشاج التي يكون شطرها من نطفة الرجل وشطرها الآخر من نطفة المرأة.

(١) سورة المومنون آية/ ١٢- ١٤.
(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما إتفق عليه الشيخان جـ٣ صـ٢٠٧ ، ٢٠٨ رقم ١٦٩ ، صحيح البخاري جـ٤ صـ١٣٥ ط الشعب.
(٣) سورة المومنون آية/ ١٣.

والنطفة: . التي يكون منها الولد وهي القليل من الماء وهي ماء الرجل والجمع نطف.(١)

والتعبير القرآني يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية وهي حقيقة ولكنها حقيقة عجيبة تدعوا إلي التأمل فهذا الإنسان الضخم يختصر ويلخص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة.(٢)

- دلت الاية علي خلق الإنسان ومروره في مراحل علي وجود الله تعالي ووحدانيته وقدرته العظمي.

-و تقول الأبحاث العلمية عن هذه المراحل: . إن إعداد نطفتي الرجل والمرأة تحتاج إلي مراحل تبداء أولي خطواتها والجنين في الرحم وتنتهي عند البلوغ. وهناك« سماعة بيولوجية» أو« عين ثالثة» تنبه سائر الأحياء إلي التوقيت الدقيق لكل حلقة من حلقات دورة الحياة.

وقد ورد في كتاب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: . قال:« لقد وصف القرآن الكريم مراحل التناسل الإنساني بالدقة والتحديد دون أي خطأ وفي عبارات بسيطة يسهل علي الإنسان إدراكها بينما سادت خرافات كثيرة عند التناسل البشري في القرون الوسطي وحتي وقت قريب قبل إكتشاف المجهر وعلم التشريح ووظائف الأعضاء والأجنة» فلقد لفت القران الكريم الأنظار إلي تمام الإخصاب بفضل كمية من سائل ضئيل جداً»(٣).

ويتضح هذا من تكرار قوله تعالي:

"خلق الإنسان من نطفة"(٤).

" ثم جعلناه نطفة في قرار مكين"(٥).

(١) لسان العرب لابن منظور جـ٦ صـ٤٤٦١ دار المعارف.
(٢) تفسير ظلال القرآن جـ٤ صـ٢٤٥٨ دار الشروق.
(٣) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار صـ٤٧.
(٤) سورة النحل آية/ ٤.
(٥) سورة المومنون آية/ ١٣.

" ألم يك نطفة من مني يمني"(١).

- فالنطفة تشير إلي كمية ضئيلة من السائل مما يتفق مع العلم الحديث الذي يقرر أن الإخصاب يتم بكمية ضئيلة جداً لأن ما يتسبب في إخصاب بويضة الأنثي هو خلية طولها ١...و ملليمتر تري الحيوان المنوي من بين عشرات الملايين الصادرة من الرجل في قذفة واحدة.(٢)

مصدقاً لقوله تعالي:.

" ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين"(٣).

ولقد فهم الناس عندما نزل القرآن الكريم ماذا يعني القرار المكين من العصور الأولي إلي عصرنا هذا. إنكشف للإنسان المزيد من معاني هذه الآية أصبحت الآن تشير إلي مجموعة متشابكة من العوامل التشريحية والفسيولوجية والفيزيائية والكيماوية تظافرت جميعاً فجعلت الرحم قرار مكيناً فلولا أن الرحم قرار مكين ما تمكنت النطفة من التعلق، فالرحم قرار مكين قبل أن تحل به النطفة فلما حلت به تمكنت من التعلق، فالرحم قرار يناسب إستقرار الجنين من أول يوم إلي آخر يوم من الحمل وذلك لما يتمتع به من القابلية للتمدد والنمو حسب نمو الجنين.

وهكذا تجمع هاتان الكلمتان القرآنيتان ايتين عجيبتين في الرحم للعلم الحديث هما ثباته ورسوخه في مكانه. لأن الرحم قرار يستقر فيه الجنين مدة الحمل.

ويكبر تبعاً لنموه وهو مكين يحميه من الإجهاض والمكروبات وتقلبات الجو الخارجي وغير ذلك.

- وبذلك يتضح لنا أن الإنسان يتخلق من نطفة مخصبة يجتمع فيها الحيوان المنوي والبويضة ويمتزجان بطريقة تتفق تماماً مع اللفظ القرآني« أمشاج».

المذكور في قوله تعالي:" إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج»(٤).

(١) سورة القيامة آية/ ٣٧.
(٢) كتاب خلق الإنسان للدكتور محمد علي البار صـ٥٤.
(٣) سورة السجدة آية/ ٨.
(٤) سورة الإنسان آية/ ٢.

يقول العلم الحديث-

كل زوج من الصبغيات المستكنة في نواة الخلية والمسئولة عن برنامج التخلق والتكاثر تتكون من سلسلتين مزدوجتين من الأحماض الأمينية وفي الحيوان المنوي والبويضة تكون السلسلتان منفصلتين فإذا حصل التخصيب امتزجت السلسلتان وأصبح كل صبغي زوج تاماً بعد أن كان أحد طرفيه في نطفة الرجل والآخر في بويضة المرأة ثم يختفي تميز الصبغيات نفسها وتصير أزواجاً مختلطة غير متميزة داخل النواة وكل هذه المعاني تشير إليها.« النطفة الأمشاج»(١).

فالمقصود بالنطفة الأمشاج هو البويضة الملقحة ويؤيدها قوله تعالي:

" ثم جعلناه نطفة في قرار مكين"(٢).

قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم-:.« يا يهودي من كل يخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة»(٣).

وبذلك يتضح لنا عدم التعارض بين الأيات القرآنية والحقائق العلمية فإنها تتوافق معها كل التوافق والترابط بينهما.

ثانياً: مرحلة العلقة:-

قال تعالي:" ثم خلقنا النطفة علقة"(٤).

وقال عزوجل:" هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة"(٥).

والعلق: هو الدم الجامد وهو طور من أطوار الجنين. والعلقة: التي يكون فيها الولد.(٦)

قال تعالي:"خلق الإنسان من علق"(٧).

(١) كتاب القرآن والتوراة والإنجيل والعلم للدكتور موريس بوكاي صـ٢٢٧.
(٢) سورة المومنون /آية ١٣.
(٣) مسند الإمام أحمد جـ١ صـ٤٦٥ المكتب الإسلامي.
(٤) سورة المومنون آية/ ٤.
(٥) سورة غافر آية/ ٦٧.
(٦) المفردات للراغب الأصفهاني صـ٣٥٥ دار الفكر.
(٧) سورة العلة آية/ ٢.

والعلقة: هي تعلق بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر تتغذي بدم الأم.(١)

- ما قالته الأبحاث العلمية عن هذه المرحلة:

أن العلقة حسب الترتيب القرآني يقابل الأسبوع الثاني في علم الأجنة الحديث، ثم تدخل العلقة في غشاء الرحم وتستمر في الدخول حتي تصير مندمجة تماماً ومستوية كأنها في عش محاط من جميع الجوانب بغشاء الرحم يزداد سمكه وخاصة في مكان العلقة وبهذا يتكون تيار من الدم بين العلقة والرحم يسمح لها بالنمو.

وعندما تستقر العلقة تبدأ المهمة الثانية للخلايا الجانبية التي قامت بالإفراز« وتسمي التروفوبلاست» هذه المهمة هي إفراز هرمون « H. C. G » الذي يواصل إصدار الأوامر إلي المبيض ليستمر في إفراز هرمون البروجستون. وهو ضروري جداً لأنه يحث غشاء الرحم علي الإستمرار في التماسك... ومادام هرمون البروجستون في الدم فإن المبيض يكف عن إطلاق بويضات جديدة.(٢)

«وكلمة- خلقنا- التي جاءت في الآية تفيد أن التحول من مرحلة إلي أخري لا يتم في صورة قفزات ولكنه يتم بالتدرج ولذلك قال العلماء المسلمون: إن الجنين يغلب عليه في كل مرحلة وصف هذه الأطوار ثم يبدأ وصف المرحلة الموالية يظهر ويقوي حتي ينقلب الجنين إليها فيعمه وصفها وهكذا».

ولهذا ففي الإسبوع الثاني تبدأ العلقة في التحول من كتلة من الخلايا- إلي مسطح بطبقتين خلويتين متميزتين يسمي القرص المزدوج.(٣)

- فلا تعارض بين آيات القرآن الكريم والعلم الحديث فيكون بينهما توافق وترابط... وهذا هو الترتيب الصحيح. فلفظ العلقة يترجم بإيجاز ما يميز الأسبوع الثاني بعد التلقيح، فأغلب هذا الإسبوع يمضي في زرع البويضة المخصبة وفي تكوين التروفوبلاست الذي يتحول فيما بعد إلي مشيمة وحبل سري.

---

(١) تفسير ظلال القران جـ٤ صـ٢٤٥٨.
(٢) لقط المنافع في الطب لابن الجوزي صـ٨.
(٣) أطوار خلق الإنسان في الطب والقرآن صـ١٤٩ للدكتور تاج الدين محمود.

والألفاظ الواردة عن أطوار خلق الإنسان دقيقة إلي الحد الذي يجعل من المستحيل شرحها بكلمات أخري بل لابد من جمل مركبة تقرب معناها.. وهذا عام في كل ألفاظ القرآن الكريم. فقلما نجد لفظاً يطابق معني اللفظ القرآني الوارد في سياق آية من الآيات وإنما نجد ألفاظاً تقريبية.

ولفظ العلقة يستوعب معاني يشير إلي التعلق والتشبث والإمتصاص كما يشير إلي التشبه مع الدودة المسماه بالعلقة سواء في شكلها أو إمتصاصها للدم من الجسم الذي تتشبث فيه.

وهكذا يبدو أن الكتاب- القرآن الكريم- العجيب الخالد لا يفني- وأن معين العلم والإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقاً بعد آفاق كلما تقدم العلم. فتلقي ما بهذا الكتاب الكريم من إيحاءات وإشراقات.(١)

مصداقاًلقوله تعالي:"**سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق**"(٢).

للبحث بقية في الجزء الثاني من العدد إن شاء الله تعالي

---

(١)تفسير المراغي جـ١٨ ص١١ دار إحياء التراث العربي..
(٢) سورة فصلت آية/ ٥٣.